

الناحية العلمية من إعجاز القرآن

للأستاذ محمد أحمد النمرأوى

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

نعم ! إن الله منزل القرآن ينبئنا في كتابه العزيز أن هناك أرضين أخرى مثل أرضنا . و فرق ما بين الأرض والكواكب الأخرى أن على الأرض حياة ، وإلا فالأرض أيضاً كوكب سيار كغيره من السيارات .

وأول ما نجد آيات في سورة فصلت تتعلق بالموضوع : تلك الآيات هي :

« قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ؟ ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها ، وبارك فيها ، وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام ، سواء للسائلين . ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض : اتبيا طوعاً أو كرهاً : قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات في يومين ، وأوحى في كل سماء أمرها ؛ وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ؛ ذلك تقدير العزيز العليم ا » .

هذه الآيات الكريمة الأربع فيها فنون من الإعجاز العلمي نكتفي منها بما يتصل مباشرة بالنقطة التي نحن بصدد بحثها . وأول ما نلاحظ من ذلك أن الآية الأولى نص في صحة ما استنبطنا من أن العالم في آية الفاتحة ليس هو مجرد عالم الإنس والجن ، أو عالم الحيوان والنبات ، ولكن هو العالم الفلكي الذي يتبادر إلى الذهن من اللفظ . ووجه كونه نصاً في ذلك أن الآية والتي تليها تتناولان خلق الأرض على شطرين . ولما كان الشطر الثاني في الآية الثانية متعلقاً بتطورات خلق الأرض الضرورية للحياة فيها فإن شطر خلقها في الآية الأولى متعلق بتكوين أرضنا أول ما تكونت عند ميلادها ، وتكون خاتمة تلك الآية « ذلك رب العالمين » متعلقة على الأخص بالمعنى الفلكي الذي هو موضوع الآية . ومن لطيف ما يبنى الانتباه إليه كمثل للإشارات القرآنية العلمية أن بومى الخلق المذكورين في الآية الأولى داخلان طبيعاً - في الأربعة الأيام المذكورة في الآية الثانية ، إشارة إلى أن تطوري الخلق متداخلان كما هما في الواقع . وهو مثل رائع للإعجاز في الإعجاز فافاً انتقلنا إلى الآية الثالثة وجدناها تنبئنا أن السماء عند ما تم

خلق الأرض كانت دخاناً ، وأن السموات السبع لم يكن خلقن بعد ، بل كن كاهن سماء واحدة بدليل قوله تعالى في الآية الرابعة : « فقضاهن سبع سموات في يومين » . وإذن فقد كان هناك قبل خلق السموات السبع أرض واحدة تم خلقها ، وسماء واحدة كانت دخاناً . وهذا عجيب من استمرار خلق السموات والأرض لا يعرف العلم منها إلى أن السماء كانت يوماً ما دخاناً . ولا تزال كتل هائلة مما سماه الله دخاناً يشاهدها الفلكيون بمراقبهم القوية اليوم في السماء وأن تكتل داخل أكثرها نجوماً ، ويسمونها سُدمًا ، ماتكتل منها وما لم يتكتل . وهذا مثل عجيب من الإعجاز العلمي للقرآن : هذه الدخانية التي كانت عليها السماء .

وواضح أن تخلق السماء إذ ذاك سموات سبعاً المشار إليه في الآية الرابعة كان طاعة من السماء لنصيبتها من الأمر : « اتبيا » إذن فما هو نصيب الأرض وقد قالتا « أتينا طائعين » ؟ هل الأرض في قوله تعالى : « فقال لها وللأرض اتبيا طوعاً أو كرهاً » هي نفس الأرض التي نحن عليها ؟ إن الجواب المتبادر هو نعم . لكن القرائن تمنع من هذا التبادر . وأول هذه القرائن وأهمها أن أرضنا هذه كان قد سبق تشكيلها ، وتم خلقها وخلق جبالها وخلق الحياة على ظهرها قبل أن يصدر الأمر ، بدليل « ثم » الترتيبية في أول الآية الثالثة ، بعد تمام خبر خلق الأرض في الآيتين الأولىين . والأمر أمر واحد : « اتبيا » ! فإذا كان أمر خلقها فيما يتعلق بالأرض المخاطبة . فهل يمكن أن تكون الأرض المخاطبة بذلك الأمر هي الأرض التي تم خلقها ؟ أليست هذه قريبة قوية جداً على أن الأرض في الآية الثالثة غير الأرض في الآية الأولى ، أي غير أرضنا هذه ؟ بل ! وتكون آل للهدى في الآية الأولى ، وللجنس في الثالثة . فهل هناك قرائن أخرى على هذا الاستنتاج تؤيده وتركيه ؟

إذا تذكرنا أن المقابلة تامة في الامة بين كلتي أرض وسماء ، وكذلك هي تامة في الآيات الثلاث الأولى حين لم يكن إلا أرض واحدة وسماء واحدة ، كان في ذلك إشارة متنية إلى أن السبع السموات المذكورات في الآية الرابعة يقتضى وجودهن وجود سبع أرضين يقمن بإزائهن : أرض تقابل كل سماء . ولما كانت إحداهن موجودة تامة الخلق بالفعل حين صدر الأمر ، كان المخاطب للمعنى بالأمر في « اتبيا » هو الأرضين الست الأخرى المقابلة للسموات الست الجديدة : خلقهن - سبحانه - كخلقهن من

آيات أخرى من آيات إعجاز القرآن .

بقيت نقطة واحدة لعل من الخير استيفاءها . أخبرنا الحق سبحانه أن السموات السبع كن قبلُ سماءً دخانية واحدة وهذه الأرض مخلوقة ، فهل أخبرنا سبحانه في القرآن شيئاً عن هذه الأرض أين كانت قبل أن تخلق ؟ نعم . في آية الأنبياء :

« أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما ؟ » ! وإذا تركنا المجاز ولزمنا الحقيقة اللغوية طبقنا قاعدتنا نتج حتماً من هذه الآية الكريمة أن السموات والأرض كانتا شيئاً واحداً متصل الأجزاء . وهذه عجيبه كبرى من عجائب إعجاز القرآن الملى يؤيد القرآن بها العلم الحديث في قوله بأن الكون كله شيئاً متبثقاً واحداً قبل أن توجد فيه أرض أو نجم أو سديم .

ونأمل ان شئت واجب ماشئت من إعجاز القرآن في التعبير عن هذا السر الحق الهائل في الآية الكريمة آية الأنبياء ! تأمل كيف لم يسم ذلك الكون الرتق سماءً إذ لم تكن أرض ، وإذا كانت السموات والأرضين شيئاً واحداً متبثقاً لعله كان دون الدخان لكننا نكتفي الآن بهذا القدر من الأمثال التوضيحية لما أشرنا إليه في صدر هذا المقال .

إن فيها على الأقل ثلاث معجزات يقينية يستيقنها العلم الآن : تعدد العوامل فلكية ؛ ودخانية السماء في البدء ؛ وانفصال الأرض عن السماء بعد أن كانت متصلة بها اتصالاً في الأول .

وتبارك الله فاطر الفطرة ومزحل القرآن .

محمد أحمد العمراوى

إدارة البلديات العامة

تقبل المطاءات بإدارة البلديات
(بوستة قصر الدوبارة) لناية ظهر يوم
٢٢ يناير سنة ١٩٤٧ عن توريد عربات
رش وقامة مفرد للمجالس .

وتطلب الشروط والوصافات الخاصة
بذلك من الإدارة على ورقة تممة فئة
الثلاثين ملياً مقابل مبلغ ٢ جنيه للنسخة
الواحدة عدا أجرة البريد . ٦٥٧٦

السماء الدخانية الأولى . وتكون ال في لفظ الأرض في الآية الثالثة هي للجنس كما استنتجنا .

ويزداد هذا المعنى والتخريج تأييداً فوق تأييد ، وتوضيحاً فوق توضيح ، بالآية الأخيرة من سورة الطلاق « الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ، ينزل الأمس بينهن ، لئلا يعلموا أن الله على كل شئ قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شئ علماً . »

إن ال في الأرض هنا هي حتماً للجنس لا للعهد ، بدليل قوله تعالى « مثلهن » . والسموات السبع متعددة ، ليس في ذلك شك فلا بد أن تكون الأرضون السبع متعددة أيضاً على نفس النحوى والنمط لتتحقق المثلية النصوص عليها في الآية ، لا أنهم سبع طبقات في أرضنا هذه كما فهم الناس ويفهمون . فأرضنا واحدة وليس يفهم العلم ولا الناس من لفظ الأرض إذا أطلق إلا أرضنا هذه جملة ، بخلافها وطبقاتها كلها . فتفسير الأرضين السبع بطبقات سبع في هذه الأرض تفسير لا يتفق مع اللغة ، ولا العلم ، ولا القرآن ، ولا مع الحديث الكريم « اللهم رب السموات السبع وما أظللن ، ورب الأرضين السبع وما أظللن » إن يدق في تفهم الحديث وتوجيهه على المعنى المألوف .

هذه النتيجة التي تتفق مع حرفية القرآن وحمله على الحقيقة اللغوية لا على المجاز تحمل لنا وللإنسانية مشكلة السموات السبع حلاً حاسماً . فقد عجز الناس إلى الآن عن الوصول إلى فهم للسموات السبع ليس عليه اعتراض . قالوا إنها السيارات السبعة فظهر من السيارات عشرة ليس من بينها القمر كما كان يقول اليونان . وقالوا إنها سبعة عوالم في السماء فكانوا كأن لم يقولوا شيئاً ، إذ ليس هناك ما يحدد معنى عوالمهم هذه ، والعوالم والأكران ! أكثر من سبعة بكثير . لكن تمال الآن إلى الدنى القرآنيتين آنفاً ، ونذكر الإرتباط والمقابلة بين أرض ، وسماء في اللغة لفظاً ومعنى ، وطبق ما تفهم من السماء بالنسبة لهذه الأرض على كل أرض من الأرضين الست الأخرى ، يتحدد معنى السماء وعددها بتحدد معنى الأرض وعددها ؛ أو إذا جئت المسألة من الطرف الآخر ، يتحدد معنى الأرض وعددها بتحدد معنى السماء وعددها . « الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن » ! سبع سموات وسبع أرضين ، كل أرض تحدد سماءها ! وأكبر الظن أن مرقب المائتى بوصة الجديد المنتظر إتمام صنمه قريباً سيكشف مع الزمن عن بعض هذه الأرضين فتتجدد بذلك